الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثمان الكتب في وزارة المعارف :

أوضحت في الأسبوع الماضي موضوع اختيار الكتب للقراءة الأدبية في المدارس الثانوية وما أثير حوله في وزارة المعارف ، كما أبديت ما عنّ لي من الملاحظات في شأنه . وأريد أن أعرض اليوم لمسألة أثمان تلك الكتب ، وغيرها من الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية .

أما كتب المطالعة الأدبية فقد كانت الوزارة تشتريها من السوق الحرة بأثمانها التي تباع بها الجمهور أو بما ينقص قليلا عن هذه الأثمان ، إذ كانت الوزارة تكتب إلى المكتبات ودور النشر ، تطلب مواقاتها بالثمن الأصلي وبمقدار ما هي مستعدة أن تنقصه من أصل الثمن من أجل الوزارة ..

وفي فبراير الماضي قررت الوزارة أن تثمن الكتب بحسب نفقات طبعها وورقها وحبرها وتنليفها وما إلى ذلك ، وتقدر هذه النفقات لجنة خاصة في الوزارة تضم بعض الفنيين في الطباعة والنشر ، وبطبيعة الحال تحصي اللجنة عدد الصفحات والسطور والكلمات والحروف لتقدر ما تكلفته المطبعة في إعدادها . ويضاف إلى هذه النفقات ستون في المائة منها ، للناشر والمؤلف حسبما يتفقان .

وقد كان يقوم بنفسي إزاء الذي كان متبعاً من قبل ، أنه لا يليق بالوزارة أن تطلب من الناشرين وأصحاب الكتب معاملتها معاملة خاصة من حيث إنقاص الثمن بنسبة معينة ، فهذا أشبه بالمساومة التي يترفع عنها كثير من الناس ، ولم تشترى الحكومة بثمن غير الذي يشترى به الناس ؟ وهل هي عندما تشترى السلع الأخرى تطالب بمثل هذا « الخصم » ؟

ولكن ذلك شيء يسير ، يشغلنا عنه الآن هذا القرار الأخير الذي جب ما قبله ، والذي أرى عليه غبنا . ويظهر أن « حرفة الأدب » تدخلت في الموضوع ، فبغت — كدأبها — أن ترزى أهلها : الأدباء ..

وقل لي بربك هل تشترى الحكومة العلف من تبن وشعير وبرسيم لما تملكه من بهائم ، بحسب نفقات الإنتاج ، في غير ما يدخل التسعير العام للجمهور ؟ فما بالها تتخذ هذه الطريقة في غذاء العقول ومنتجات قرائح أصحابها من الطبقة الممتازة في الآدمية ؟

ولم يرتح أصحاب الكتب المقررة إلى تلك الطريقة التي تقرر اتباعها في تثمين كتبهم ، ومن أوجه الضرر التي تلحق بهم أن الوزارة حينما تشترى الكتاب بثمن بخس وتأخذ منه عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو ما بين ذلك ، ترخصه في السوق ، فقد يعود إليها بعد التوزيع على الطلبة بثمن أقل . ويرون أن الأمر غير لائق من الوجهة الأدبية كما هو مجحف من الناحية المادية يقول بعضهم : هل نحن نقدر أفكارنا لتقدر بسعر ما تكتب به من الحبر ؟

وقد حدث أن قدرت اللجنة الجزء الأول من كتاب « الأيام » بسبعة قروش وهو يباع للجمهور بعشرين قرشاً ؛ ولما علم الدكتور طه حسين بك مؤلف الكتاب بهذا التقدير ، رأى الامتناع عن بيعه للوزارة ، فزيد التقدير عدة مرات إلى أن وصل التقدير إلى ثلاثة عشر قرشاً ، حتى رضي الدكتور . وهذا مثل يطلعنا على ما عساه أن يكون لذلك القرار من جرائر وما يسود تنفيذه من اعتبارات . .

ومما يرجه إلى طريقة تثمين الكتب بنفقاتها المادية ، أنها تسوى بين كتاب وكتاب قد يكونان مختلفين في القيمة الأدبية ، وتلك الطريقة لا تكون عادلة إلا في بيع الكتب المتخلفة من الرواج حينما توزن بالأقات والأرطال . .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أن الكتب التي تقرر للمكتبات المدارس تطبق في تثمينها الطريقة الأخيرة ، فما يؤخذ منه أكثر من ثلثمائة نسخة ، أما ما دون ذلك فيشترى بأثمان السوق أو بما ينقص منها قليلا كما تقدم .

أما الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية فلها قصة أخرى : كانت الوزارة تطبع هذه الكتب بالمطبعة الأميرية ، وتوزعها على طلبة المدارس الأميرية . وقد جرت على أن تعطى

المؤلف مكافأة نحو مائة أو مائتين من الجنيهات، وكثيراً ما يكون للكتاب عدة مؤلفين، وقد يكون له عدا المؤلفين مراجعون ولم تكن المكافأة في نظر المؤلفين والمراجعين شيئاً مذكوراً إنما كان ربحهم من طبع الكتب في مطابع أهلية بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالثمن المقدر رسمياً على أساس هذه النفقات، لطلبة المدارس الحرة في مصر، ولبعض وزارات المعارف والمدارس الحرة في الأقطار العربية الشقيقة.

وفي فبراير الماضي قررت وزارة المعارف أن توزع الكتب المدرسية على المدارس الحرة كما توزعها على مدارسها.

ورأت دور النشر في هذا القرار ما يهددها في أرحب مجال اعملها وخاصة في هذا الوقت الذي قل فيه الإقبال على الكتب وتعذر إصدارها إلى الخارج، فشكت إلى الوزارة ما يناالها من جرائه وما يؤدي إليه من تعطيل عمالها، وشاركها في ذلك المؤلفون إذ رأوا أن كل كسبهم من تأليفهم ينحصر في المكافأة الضئيلة المزية التي تمنحها الوزارة لهم، وقد قرر بعضهم الامتناع عن التأليف المدرسي ما دامت هذه الحال.

حكاية الأسبوع

□ تنفيذاً لرغبة ملكية كريمة قرر معالي وزير المعارف إقامة لوحة تذكارية بدار الأوبرا للمرحوم عجيب الرحباني تقديراً لما أداه من جهود نبيلة في خدمة البلاد.

□ أطلق اسم «ابن سينا» و«الرازي» على ممرجين في كلية الطب بباريس. وقد اقترحت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إطلاق اسم «ابن سينا» على أحد ممرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

□ اعتزمت اليونسكو إخراج مؤلف شامل عن ابن سينا يشترك في وضعه نخبة من أعلام المختصين في مختلف الأمم.

□ نشرت مجلة «الأديب» البيروتية لوكيلها في القاهرة «أن العالم الأدبي (ممثلاً في شخصه) استاء من مهاجمة «الرسالة» لسلامة موسى... وقد كتب ذلك قبل نشر كلمتنا «نجح سلامة موسى للغة العالمية» والمنتظر أن يكتب وكيل المجلة إليها اعتذاراً في العدد القادم معبراً عن استياء «العالم الأدبي».

□ وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد على تعيين الأستاذ عبد الوهاب عزمة أستاذاً لكرسي شوقي بالكلية.

□ نقلت وزارة المعارف من البرجون هامرتن ناشر كتاب «تاريخ العالم» الذي تقوم بترجمته إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة — رسالة يثني فيها على توفيق الوزارة في نشر الكتاب ودقة ترجمته. وقد جاءت الأنباء بأن الناشر توفي، وكانت وفاته قبل وصول رسالته إلى وزارة المعارف.

□ اعتاد الدكتور ابراهيم ناجي رئيس رابطة الأدباء، حينما يلقي محاضراته بالرابطة، أن يجلس بين اثنين، يبتسم له كل منها إذا التفت إليها أو يسارها، وتجلس قبالته فتاة أخرى تبدي على أساريرها علامات الإعجاب كأنها تفهم ما يقول. وقد علق أحدهم على ذلك فقال إن الدكتور ناجي يبدو في هذه الهيئة مثل هارون الرشيد بين جواريه.

□ أذيع يوم الجمعة الماضي الحديث الثاني من أحاديث «قصة الأدب المصري الحديث من أول القرن إلى اليوم» المسجلة بالإذاعة للدكتور طه حسين بك، وقد تناول في هذا الحديث إنشاء الجامعة القديمة وأثرها في النهضة العلمية الحرة، كما تحدث عن بعض أساتذة الجيل وأثرهم في تحرير الفكر، وأفاض خاصة فيما كان يكتبه «الشيخ طه حسين» — على حد تعبيره — عن التفلوطي، وعما قاله أنه يشعر بالخجل لما ذكر عنه في الهجوم على التفلوطي وإن كان لهذا الهجوم أثره في التوجيه إلى حرية النقد والتجرد من تقديس شيوخ الأدب في ذلك الحين.

□ تعلم اليونسكو بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية، سرصاً دولياً في أواخر هذا الصيف بباريس، لعرض الأطوار التي اجتازها البصر في سبيل تحريره حتى الآن.

ومما لا شك فيه أن استياء المؤلفين الممتازين من التأليف وقيام غيرهم به ممن يرضى بالقليل يؤدي إلى ضعف التأليف للمدارس وانحطاط مستواه.

وقد تولى وزارة المعارف معالي الأستاذ علي أيوب، وتلك الحال قائمة، وقد تلقى شكايات واستمع إلى وجهات نظر مختلفة. والأمر — في كل ما يتعلق بالكتب مدرسية أو أدبية عامة — بين يدي معاليه قيد البحث والنظر، ولا شك أن روح القاضي التي يعالج بها معاليه أمور وزارة المعارف منذ وليها، يبعث الطمأنينة في نفوس المهتمين بالأمر وذوي الغيرة على الصالح العام.

اليوم خمر:

هي حياة امرئ القيس، وهي تتلخص في هاتين الكلمتين «اليوم» و«خمر» فقد كان يعيش في يومه عيشاً كله خمر، فلم يهبأ بالغد ولم يجد فيما نازعته إليه نفسه أحياناً من أمر، فهو يلهو بالشرب والصيد ومغازلة الحسان، حتى إذا قتل أبوه وبلغه نعيه وهو ما كف على لهوه لم يثنه ذلك عن شرابه ولهوه وأعلن أن «اليوم خمر وغداً أمر» فإذا نال من قتلة أبيه بعض الشيء أعلن ذلك المخطر

واستأنف يومه وغده، وأعرض عن قده ، وأعياه أمره . وتعرض له فكرة الرحلة إلى القسطنطينية للاستعانة بقيصر على استعادة ملك أبيه ، فيحزم أمره على الرحلة عند ما يعلم ما في القسطنطينية من خمر معتقة ومن فيها من حسان فاتنات . وهناك يستبدل حانة ميخابلوس بدارة جلجل ، وأين عذارى الغدير من لا ريسكا وميتورنا وابنة القيصر ؟

تلك هي حياة الأمير الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي كما صورها الأستاذ محمود تيمور بك في مسرحيته الجديدة « اليوم خمر » وقد عنى فيها بتصوير الصراع في نفس امرئ القيس بين حياة اللهو والمرح وبين المجد المؤثل ، ويغوص الأستاذ في طوايا هذه النفس ليستخرج حقيقة معدنها ، فإذا هي نفس جادة إذا هزلت وهازلة إذا جدت !

والمعجزة الكبرى في هذه المسرحية ، هي تطويع الجزالة العربية لأسلوب العصر وصب الفحولة الجاهلية في قالب الرشاقة العصرية ، وقد مزجت بعض العبارات الأصيلة المأثورة بأسلوب المؤلف فلا تميزها إلا بمعرفتك إياها من قبل ، ومع هذا لا يذهب بك بعيداً عن لغة عصرنا هذا برقتها وسهولتها .. وأعتقد أن الأستاذ تيمور بك توخى بذلك أن يستكمل تصوير عصر المسرحية بأسلوب أشبه بلغته ، وقد بلغ بذلك ما أراد مع تجنب الإغراب وترك ما ليس مألوفاً في هذا العصر .

وتعرض المسرحية صورة صادقة للحياة العربية البدوية الأولى — كما نتخيلها — وتبرز شيمها وطبائعها التي تنزع نفوسنا إليها باعتبارها أصلاً من أصولنا ، ولا تزال نتوسمها في مثلنا وحياتنا . وفيها تعبير عن معان وحقائق إنسانية خالدة . وهي تتسم بالجمال ، جمال البيان ، وجمال التنسيق في عرض الحوادث والمناظر ، وجمال الصدق في التعبير عن خلجات النفوس ومفارقات الحياة .

وقد آثرت أن أمسك عما لاحظته في المسرحية مما أظنه مآخذ ، إلى أن نلتقي بها في المسرح ، ولعل الفرقة المصرية تفتتح بها موسمها القادم على مسرح الأوبرا ، وتهيىء لنا بذلك لقاءها هناك .

نجيب الريحاني :

توفي يوم الأربعاء الماضي ، الممثل الكبير الأستاذ نجيب الريحاني ، وقد بعث نعيه الحزن في كافة الطبقات ، فلم يكن فقيد طبقة أو طائفة دون أخرى . إنما هو فقيد أمة ، عاش لها وخدمها بفنه ظل حياته على المسرح بضحك لها ، وأخيراً احترق .

كان رحمه الله فناناً ساخراً ، يسخر من الحياة ومن يعقدون أمورها على أنفسهم وعلى الناس ، وطالما حل مشكلاتها بحكمته الضاحكة ، وطالما بعث المسرة إلى القلوب بفكاهته الرائقة ، وأخيراً أسدل الستار على المأساة إذ فارق الحياة . وقد كان يكشف بحاسته الفنية ما في الحياة من سخف وتفاهة ، ولعله بمفارقتها قد بلغ نهاية الفن — إذ أشرف روحه على مهازل الأحياء فسخر منهم السخرية الكبرى .

ووفت له الجماهير ، إذ احتشدت في تشييع جنازته التي هرع الناس إليها من جميع الطبقات فكانت دموعهم ودموعهم مرثية رائعة مطلعها مندوب جلالة الملك .

كانت صحة الفقيد الكريم قد اعتلت أخيراً ، ولكنه ظل يعمل على المسرح لأنه لم ير للعيش طعماً مع اعتزال الفن والخلود إلى الراحة ، ولكن الراحة الكبرى سلبته الاختيار ، فخلى مكانه في المسرح ، وأسلم الراية مكرها .

كان الريحاني مدرسة في فن التمثيل تهدف إلى الأغراض الإصلاحية ، وتؤدي إلى هذه الأغراض بطريقة فكاهية محببة إلى الخاصة والكافة ، فكان المجتمع يتلقى عليه ويستفيد منه وهو يستمتع بفنه ويطرب لدعابته .

فما أشد فاجعة المسرح في الريحاني ، وما أفدح خسارة الأمة في فنانها العظيم .

عباس خضر

الاستاذ محمود الخفيف
يقدم
أحمد عرابي
ثمنه ٥٠ قرش